افتتاحية العدد

بقلم رئيس التّحرير:
أ.د عبد الرزاق بلعقروز

«والذّريعة إلى درك الحق بالطّبع إنّما هو الفكر الطبيعي، إذا جُرّد عن جميع الأوهام وتعرّض النّاظر فيه إلى رحمة الله تعالى. وأما المنطق فإنّما هو واصف لفعل هذا الفكر، فيساوقه لذلك في الأكثر. فاعتبر ذلك واستمطر رحمة الله تعالى، متى أعوزك فهم المسائل، تُشْرق عليك أنواره بالإلهام إلى الصّواب»

ابن خلدون
مقدمة ابن خلدون
الباب السادس، الفصل السابع والثلاثون، ص ٦١٣.

«العلوم الفيزيائية والرياضية يليق بها أن تستخلص بالتَّفكير النقدي، القيم الروحية التي يتضمّنها هذا التقدّم، يجب أن تتعرَّف فيه أنه علامة لا على تقلُّص الفكر وضعفه، بل على تحسينه وعلى الزيادة في بنيته وعلى تنوعه التّنظيمي»

جاك ماريتان
درجات المعرفة، أو التّمييز من أجل التَّوحيد
ترجمة محمود يعقوبي،
مصر: دار الكتاب الحديث، ٢٠١٦، ص ٢٨٤.

لم تُبَكّر الإنسانية بالعلوم التقنية والمعارف التَّطبيقية، ليس لأن نشاطها العقلي كان في مرحلة البداوة أو فاقدًا للقدرة على التَّفكير المنطقي، وليس لأن تطوُّرها البيولوجي هو الذي جعل الفكر والمنطق داخلا ضمن التَّبدُّلات النَّافعة بيولوجيًّا في الصورة التي هو عليها الآن. فالإنسانية الأولى ليست بدائية إلا من منظور العقلانية العلمية المعاصرة التي فرحت بما عندها من العلم، ثم ما لبثت أن اكتشفت أن علومها التي استخلصتها من حركتها في عالم الطبيعة والإنسان هي جزء ضئيل؛ بالمقارنة مع عوالم الكون المتسعة وعوالم الإنسان العميقة.

وإذْ تقرَّر هذا، فإننا نصرف القول إلى تسويغ البداية الإنسانية بسؤال الإنسان وليس بسؤال المعرفة، بالنظام الأخلاقي الذي تستقيم به حياته، وليس بالأدوات العلمية التي يكاشف بها نظام العالم المشهود، وهذا التَّسويغ يجد معناه في البنية التَّكوينية الأخلاقية للإنسان، بمعنى أن مولد الإنسانية كان احتفاء بلباس القيم وليس احتفاء بتملُّك الأشياء وفق منهج العلم، فالإنسان من غير لباس القيم الروحية بشكل خاص، هو نزعات إنسانية عديدة، وما بينها من التفرّق والاختلاف ما لا يحصيه إلا الله، فمنها: إنسان التَّطوُّر والارتقاء: الذي يحسم حياته بالقيمة العليا: البقاء للأقوى، وإنسان إرادة القوة: الذي يُبْصر في الفضائل الإنسانية الرُّوحية علامة على نفي للحياة ووهن في الجسد، وإنسان الشرّ الجذري أو الخطيئة الأصلية، الذي ولّد الوهم باستحالة الفعل الخلقي وإمكانية الفعل المُتَعي والنّفسي، أو إنسان المُتعية والنَّرجسية الذي شَرْنق ذاته؛ وحصر مطالبه في التَّفنُّن في اللَّذات وأشكال المناكح والشَّهوات وهكذا..

> وأمام هذا الحال للإنسان الذي اجتمعت فيه إرادة المعرفة العلمية بإرادة المُتَعِية النَّفسية الجانحة نحو مطالب الغرائز؛ يأتينا الوعي بتسويغ تركُّز اهتمام الإنسان في الحقب الأولى بالأخلاق والدين والمطالب المتشعبة عنها، لأنه كان واعيًا بأن العلم التطبيقي من غير نظام في القيم سيهوي بالإنسان إلى إرادة السيطرة والعنف وإفراغ العالم من أبعاده الرمزية والجمالية.

ولو لم يكن السؤال الأول للإنسان هو سؤال القيم وتوجيه السلوك نحو الفضائل والآداب وربط ذلك كله بتقوى الله سبحانه وتعالى كقيمة رافعة عليا، لكان التعدّي وهتك ستر الحياء ونسيان الله وقلة التفكر في يوم الفصل والجزاء أكثر من حالته التي نشهدها اليوم ونبتغي في الآن نفسه تحويلها. وبذا فإن هذه المسارات العرجاء للإنسان المعاصر تفرض على منح التربية مكانة قمرة القيادة من جديد، لأن التربية هي العمل الذي يُصَيّرُ الإنسان شاعرًا بتكوينيته الرُّوحية الأصلية، وشاعرًا بأن حركة العمارة في الأرض ليست قوانين تشتقها الذَّات من الكون، وإنما فعل أخلاقي ارتقائي لمعانقة المثل الوجودي الأعلى، وتَشَبُّهٌ بالأفعال الإلهية التي من صفاتها الرَّحمة والإنسان التَّراحمي والمجتمع الرحَّموتي والإنسانية الرَّاحمة، وبموجب هذا الإقرار؛ فإن روح التربية ينبغي تحريرها من النّموذج السائد، أي ذلك الذي ينحصر في تنمية كمالات

الإنسان العقلية المنطقية والعلمية وكمالاته الجسمية، وينسى كمالاته الرُّوحية والأخلاقية بوصفها عماد توازن حركة الإنسان وجوديًّا ومعرفيًّا وأخلاقيًّا، والإنسان المعاصر لمّا أدرك عمق الأزمة الرُّوحية ونتائج الانفصال بينه وبين الله، سارع إلى تطوير أساليب ورياضات روحية لأجل رسم مدلول آخر للفلسفة، وذلك بوصفها المنبع المُمِد بطرق الرياضات الرُّوحية الراغبة في تحويل الإنسان وإمداده برؤية جديدة للعالم كما يسعى في ذلك جون غرايش:، فضلاً عن علاجه نفسيًّا من الأمراض الجديدة للذات بعبارة:

وإذ تبيّنت الوجهة اللافتة للتربية فإننا مطالبون بوضع معالم منهجية هادية للنموذج التربوي الذي يحقق في الإنسان أقصى كمالاته الروحية والعقلية والنَّفسية والجسمية، ومن سمات هاته المعالم في نظرتها إلى التربية ما يأتي:

التربية الصَّائبة، ليست تلك التي تراكم المعلومات والمعارف في وعي المتلقي، وإنما تلك التي تُقَوّي الملكة الفطرية في الإنسان النَّازعة نحو التَّفكير والاستماع والإبداع، وقد لاحظ **ابن خلدون** الأثر السّلبي للصّناعات المنطقية، ودعا إلى نوع من الاستبطان الذاتي والاستماع لنداء الروح الذي سمَّاه استمطار رحمة الله تعالى بالارتكاز على الفكر الطبيعي، ونسيان طرق التَّفكير الصناعي الذي هو في الأخير تصرف في الملكة الفطرية الأصلية.

لا بد للتربية أن تُقَوّي في الإنسان المُكَوّن الرُّوحي، الذي يؤثّر في الوجدان، ويُنَمّي القدرة على مكاشفة عدمية السُّلوك النَّرجسي والمُتعي، وعلى قدرة الرؤية الروحية في تخليص الإنسان من الاستغراق في مشتهيات الطاقة الحيوية،

وعندما يكتسب الإنسان هذه الرُّؤية الروحية يدخل في طريق تهذيب الأخلاق؛ وإطلاق القوى الإنسانية التي كبّلتها فلسفة وأساليب وغايات التربية الحديثة، والتي لم تكتشفها أساليب التربية الحديثة، بسبب الرؤية الاختزالية **(اختزال العقلي في الطبيعي)** والانفصالي **(الفصل بين جوانب الإنسان الروحية والعقلية)**.

إذا كانت التربية تشمل تربية الفكر والإرادة والعمل، فإن النَّوازل الفكرية تقتضي أن نُوَلي الهم في التَّربية الفكرية، وكيفية التَّغَلُّب على معيقاتها النفسية والاجتماعية والمعرفية، خاصة أن الإنسان المسلم الذي دخلت إليه حركة الحداثة وشوَّشت على رؤيته العالم ونظامه المفاهيمي: من خلال النّظام التَّعليمي الذي صُنع فيه، والإنسان المسلم اليوم بخاصة الخط المنهجي الذي تتبناه مجلّة نماء وهو خط الترابطية التَّكاملية بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية، هو خطاب في التربية الفكرية، الذي يُعَلّم الباحث فن التفكير وإجادته على أصوله، ويرسم له كيفية القراءة المنفتحة المنتجة للمعرفة الصالحة وللسلوك العلمي. لذا، فإن تعلّم التربية الفكرية يقي الفكر والعلم والعقل من أيّ وثوقيات تاريخية أو حداثية تخرجه عن حركة العمارة وحركة الزمان.

ولأجل الإسهام في توجيه الباحثين وأهل الشَّأن الثقافي نحو الشُّعور بعمق الأزمة التربوية في ثقافتنا، جاء هذا العدد الجديد من مجلة نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، راسمًا إشكالات متنوعة ومنفتحًا على نصوص متنوعة كذلك من فضاء الفكر الغربي المعاصر، ويُظهِر لنا في ملف العدد نصوصًا

رصينة عالجت مسائل تربوية مركزية، جاء في أولها: مقالة الدكتور لطفي الحجلاوي (تونس) الموسومة بـ: «**المسؤولية التربوية بداهة المفهوم ومفارقة الممارسة**»، حيث ناقش مفهومًا مركزيًّا في ممارسة التربية، وخَلُصَ إلى أن المربي النُّموذجي هو من يكون وعيه بوجهي المسؤولية التربوية: القانوني والأخلاقي. في حين أن المقالة الثانية «**نحو أزمة التربية والتعليم في المجتمعات الحديثة عند علي عزت بيجوفيتش**» سعى د. عماد عبد الرازق (مصر)، إلى عرض سِمات فكر علي عزت بيجوفيتش القائمة على الرؤية الثنائية للوجود، التي بدورها تُوَلّد النموذج التربوي القائم على الحب والقدوة والمسؤولية والتَّشجيع، وليس على التدريب أو الترويض الذي هو أسلوب تربوي خاطئ.

وأما مقالة الأستاذ الدكتور العربي فرحاتي (الجزائر)، الموسومة بـ: «**أزمة التربية في العالم العربي والإسلامي كيف نواجهها من منظور إسلامي**»، فقد فتحت ورشة نقاشية مع الأسس المعرفية لمنظومة العلوم التربوية، التي لم تؤت ثمرتها في العالم الإسلامي بسبب رؤيتها المعرفية للعلم وللإنسان، ودعا الأستاذ إلى أهمية بناء منظومة تربوية أخرى تراعي الصيرورة التاريخية وقيمة العدل ومطالب التغيرات الثورية الجديدة.

في حين اتجهت مقالة الدكتور عبد الباسط الغابري (تونس) في نصه: «**حدود الفلسفة التربوية التونسية من قانون ((توحيد التعليم)) سنة ١٩٥٨ إلى ((مدرسة الغد)) سنة ٢٠٠٥**» إلى المقاربة الجامعة بين الآلة النّظرية والآلة العملية منهجيًّا، وذلك في محاولته البرهنة على أهمية الرؤية الفلسفية في بناء المنظومات التربوية، ومن أن التربية لا تتقصّد المعطى المهني السلعي، وإنما تنمي في الإنسان الشعور بالقيم وأهمية البعد التشاركي.

وأما مقالة الباحثة خولة مرتضوي، (قطر) الموسومة بـ: «**التربية الإعلامية في المرحلة الجامعية: المفهوم والأهداف**» فقد ناقشت فيها، مفهوم التربية الإعلامية الذي صار مفهومًا وقائيًّا أكثر، يحاول التصدي للأفكار والسلوكات المخالفة لصورة الفكر والسلوك القويمين من منظورها، وتضمَّن المقال نتائج وتوصيات قد تكون مادة منهجية تستفيد منها مراكز الأبحاث والتفكير.

وتضمن العدد أيضًا ترجمات هامة وهي: **الباحث والمعوقات الدوكسولوجية** لموريس تارديف، ترجمه د الجمعي النوي، ونصًا آخر عنوانه: **خصوم أحمد بن حنبل** مقال لـ كريستوفر ميلشيرت، ترجمه محمد خضر.

وكذا ترجمة أ.د نورة بوحناش لنص موسوم بـ: **من علم الوراثة إلى الإله**، اعترافات الإيمان لأحد أكبر العلماء لـ: فرنسيس س.كولينز.

وقد احتوى العدد أيضًا على حوار مع **الدكتور إدريس نغش الجابري** حول قضايا فقه المعرفة ومناهج العلوم.

وعلى دراسة وعرض لكتاب: **أثر السياسة في اللغة: العربية نموذجًا**، لمصطفى العادل، المغرب. عرض الكاتب فيه أهم الأفكار التي أوردها مؤلف الكتاب مع بعض الإضافات التي تدعم أفكار الكتاب وقضاياه، سالكًا منهج المؤلف في النقد، وعقّب على بعض القضايا التي رأى أنها من الإشكالات المنهجية

والتصورية التي يمكن تسجيلها والإشارة إليها في الكتاب.

كما احتوى العدد على مقالات أخرى خارج الملف، متنوعة في أشكالها وموضوعاتها، فنجد فيها مقالة الباحثة بهية سهلي (المغرب)، الموسومة بـ«**أزمة الهوية الإسلامية وعلاقاتها بالتطرف والإرهاب**» ناقشت فيها مسألة الترابط بين الهوية الإسلامية والممارسات المتطرفة، حيث رأت أن التصدع الثقافي والانقسام السياسي هو المولد للعنف في السياقات التاريخية للأمة الإسلامية، والمخرج الأمثل برأيها هو التربية الاجتماعية على القيم المكونة الأصيلة للهوية الإسلامية قصد غرس الأخلاق والمعاني الإيمانية.

وتناولت الباحثة نهى كمال سليم (مصر)، موضوع «**إشكالية النَّقد الكتابي عبر التاريخ ودور المسلمين التأسيسي**» وقضية الدور الريادي لجهود المسلمين في نقد النصوص الدينية، واعتبار ذلك النقطة الأساسية التي انطلقت منها الجهود الفكرية المعاصرة، في نقد الكتب الدينية، ورجعت لأجل الاستدلال على هذا الأمر إلى نصوص مصادر وكتب ذات أهمية وصلة.

أما بحث الباحث مصطفى العادل الموسوم بـ«**نقد الحداثة الغربية عند طه عبد الرحمن من النقد الفلسفي إلى النقد اللساني**»، فقد حاول من خلاله لفت النّظر إلى خصوصية نقد طه عبد الرحمن للحداثة، فهو ليس نقدًا فكريًّا خالصًا، إنما يزدوج مع النقد اللساني بخاصة للاتجاهات التداولية واللّسانية والحجاجية، معيدًا تجديد العلاقة مع الموروث اللساني المبني على القواعد اللسانية ذات المنحى الروحي أكثر.

وعرج بنا د. أحمد محمود إبراهيم نحو موضوع «**الفكر السياسي في العصر الوسيط**» الذي أبان فيه عن مركزية الفعل السياسي في الإسلام، فالعلاقة بينهما هي علاقة المبدأ بالتجلي التاريخي؛ لأنَّ الاسلام لم يندس ضمن دولة، بل هو ما بنى الدَّولة التي حافظت على كيانه، والباحث يولي أهمية معتبرة لنظام السياسية في الإسلام متمثلًا في ذلك وجهة نظر.

ويجدر القول قبل الاختتام بأن مجلة نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، تستأنف مسارها بالعودة مجددًا إلى فضاء الاجتهاد الفكري الفلسفي، في إطار مقاصد الوحي وسيرورة المعرفة العلمية المعاصرة، وتأمل دومًا تقديم الجهود النَّوعية التي تقيم أساسات العقل المسلم المعاصر بما يُمَكِّنه من الاجتهاد الإيجابي الذي يقترح حلولاً لمسائل الإنسان المعاصرة، كما تروم المجلة تجسير التَّواصل الإيجابي مع الباحثين والمفكرين الذين لهم هموم فكرية وعلمية مشتركة، كما يجدر تذكير العلماء والباحثين كافة؛ بأنَّ المجلّة ترحّبُ بالأقلام الكاتبة المتصفة بالعلمية والمنهجية والتراكمية المبدعة.

وأختم كلمة الافتتاحية بالشكر الجزيل إلى فريق العمل الذي سهر على تحرير العدد والاتصال بالباحثين وإخراجه بالصورة التي هو عليها الآن. ونسعد بفريق العمل الذي انضم له أفراد جدد نأمل أن تكون المسيرة معطاءة ومبدعة ومتواصلة، وكل الشكر لمدير التحرير السابق د. هشام المكي، الذي لم يدخر أي جهد لأجل المجلة جمعًا ومراجعة وتحكيمًا وإخراجًا.